خـــواطر

للأستاذ فليكس فارس

كنت كلما سمعت النشيد الوطني المصري : «بلادي بلادي» أحول ذهني إلى فكرة بعيدة حين تكرار اللازمة فيه وهي :

« تعيش بلادي ويحيا الوطن »

كان يؤلمني أن أسمع مثل هذا التركيب الغريب في مبناه ومعناه ولا أفهم كيف يتغنى شعب هو في طليعة النهضة العربية بمثل هذا الشطر وفيه العيش شيء والحياة شيء آخر، وفيه البلاد شيء والوطن شيء آخر !

ثم مرت الأيام فإذا هذه اللازمة مسبوكة في قالب آخر تنشدها الجماعات والأفراد ويتغنى بها الأطفال هكذا :

« تعيش بلادي ويحيا الملك ».

لا أعلم كيف وقعت هذه القافية على آذان الشعراء والموسيقيين لأول ما سمعوها، بل لا أعلم كيف كتبها من أقرها دون أن يتمرد القلم على يده أو تتمرد أعصابه على أذنه !

أين القافية المماثلة لكلمة « مَلِك » في النشيد نفسه أو في أية قصيدة نظمت منذ قرت الأبيات على قواف ؟

أما أنا فقد رأيت سبابتيّ تسدان أذني عند ما سمعت هذه اللازمة فترحمت على أصلها

ولا أزال حتى الآن أتألم كلما سمعت هذا القرار الناشز في نشيد الوطن؛ ويخيل إلي أن حورية شعري تبسط ذراعيها هاتفة:

« يعيش مليكي ويحيا الوطن »

فهل يقرّ إخواني هذا التصحيح لتأخذ به وزارة المعارف فتنقذ النشيد وتحمي ذوق الناشئة من الانطباع على رطانة قراره ؟

* * *

في بريد الولايات المتحدة أن قرينة الأستاذ جيمس آرجويت توفيت منذ أمد قريب تاركة، بوصيتها لجامعة هارفرد، مائة وخمسين ألف دولار يتصرف بها أستاذ يعين لتدريس اللغة العربية واستخراج ما في كتبها خدمة العلم في الديار الأمريكية

ليعلق المفكّرون على هذا الحدث ، كل بما توحي إليه عقيدته.

ليقل البعض إن ما أبقاه الأجداد من تراث علمي وأدبي قد استنزفه الغرب فلم يبق فيه قطرة لرجال العلم في هذا العصر ، وإن أدمغة العرب قد عقمت في هذه الأيام فليس فيها ما يُطمع به .

وليقل البعض الآخر إن قرينة الأستاذ جيمس قد استهواها ما يبدو من أبناء وطنها من غرائب الأعمال . أما نحن فلا نملك القلم من أن يكتب تكراراً ما كتبه منذ سنوات ونشر في رسالة المنبر :

« إن هذه البلاد مستودع لأشرف الثقافات ، ومكمن لأسمى المواهب ، فمن واجب أجناد المنابر والأقلام فيها أن يظهروا هذه القوات لأبنائها نزوعاً بهم عن الانقياد لمخيلات العادات والأخلاق التي تغلبت عليهم بما وجدوه من التوهم في أنفسهم فاستصغروها »

* * *

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا

في هذا البيت حكمة أصابت صميم الحقيقة في الشطر الأول ، غير أنها قصرت في الشطر الثاني عن تصوير حالة الساخط النفسية؛ فإن من نقم على إنسان لا يقف عند إبداء مساويه بل يندفع إلى مسخ حسناته عيوباً

تلك حالة مستقرة في الطبيعة يصعب على الإنسان أن يحلق فوقها . ولكم نتمنى لو يخضد تهذيب النفس من شوكتها أو على الأقل لو انعتق الأدباء من سلطانها وهم الداعون إلى الإنصاف والمتجهون إلى المثل العليا

صديقنا الكاتب الرواني كرم ملحم كرم معروف في العالم العربي بآثاره الأدبية القيمة وصديقنا إلياس أبو شبكة كاتب من الطراز الأول وشاعر من طليعة شعراء هذا الجيل ؛ ولست أدري أي شيطان نفخ بينهما فحول نورهما ناراً تتقد ولست

أدرى أيهما بدأ بإشهار الحرب لعدم اطلاعى على صحف بيروت كلتاها غير أنى قرأت مجلة الأمالى فإذا فيها مقالات متتابعة يشن فيهـا الروائى الغارة على الشاعر ويتهمه بأنه سرق من شعراء الفرنجة جميع ما نظم فى ديوانه « أفاعى الفردوس »

وعهدى بصديقى الأستاذ كرم عميق الغور رصيناً فإذا به يخرج من حلمه ويوجه نقده شتماً وتحقيراً ، وما هذه الغضبة المضرية على قوله إلا غيرة على الأدب العربى وإشفاقاً على المسكين بودلير وأضرابه ، ينتزع منهم إلهامهم ويختلس ثمرات قرائحهم

وقد أورد صديقى كرم ما يزيد على عشرين قطعة من هؤلاء الشعراء باللغة الفرنسية وألحق كل قطعة بمـا اختلسه أبو شبكة وقيده لحسابه

وهأنذا أورد أنموذجاً من هذه الأدلة التى يقضى بها الأستاذ كرم قضاء مبرماً على زميله :

أبيات أبى شبكة من قصيدة شمشون :

شبق الليث ليـــلة فتنزّى ثائراً فى عرينـــه المهجور
تقطر الحمّة المسمّرة الشـ ـهباء منه كأنه فى هجـــير
يضرب الأرض بالبراثن غضبا ن فيصدى القنوط بالديجور
ووميض اللظى يغلّف عينـ يه فعيناه فوهتـــا تنور
وثرا من عربته تتشظى حم من لظاه فى الزمهرير
واللهاث المحموم من رئتيه يشعل الغاب فى الدجى المغرور

وهذه ترجمة الأبيات التى يتهم شاعرنا باختلاسها وهى من قصيدة آلهة الغاب لألفريد دى فيى :

« ورأى النمر جبابرة الغاب يذهبون إلى بعيد بالثمرة دون أن يتمكنوا من حجبها عن نظراته الملتهبة، فوجم وتململ، فاهتز الغاب لهزيم صيحاته، وتدفق الزبد من شدقيه سائلاً على لسانه المشتعل ، واشتد احتدامه فانطلق محطماً قيوده »

ويقول صديقى كرم بعد إيراد شعر السارق الوقح وشعر المسروق المسكين :

أليس النقل حرفاً بحرف ؟ ألم نقبض على اللص الأديب بالجرم المشهود ؟ أيجوز للأدب العربى أن يرضى عن هذا الشعر المسروق حتى بتكته وحذائه ؟

فليسارع إلى نجدة الأستاذ كرم للدفاع عن الأدب العربى من يشاء إذا وُجد أديب يأخذ بحكمه . أما أنا فأجيز لنفسى أن أقول إن قطعة دى فيى فضلاً عن أنها فى واد وقطعة أبى شبكة فى واد من حيث معناها ومبناها لأبعد حتى فى أصلها الفرنسى من أن تدانى أبيات شاعرنا العربى فى سمو الخيال وروعة البيان

متى نحول إيماننا بكل ما هو غريب عنا إلى ثقة بأنفسنا ؟ ومتى يسـود التضامن والأخاء بين من لا يجدون غير النصب والشقاء فى سبيل هذا الأدب العربى الذى تتوقف على إحيائه حياة الأمة العربية

« الاسكندرية » فيكس فارس